

قراءة في كتاب:

مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر<sup>1</sup>

الكاتب: ديفيد هارفي

ترجمة: لبنى صبري

بقلم: د. عبد الحليم مهورباشا

جامعة محمد دباغين سطيف<sup>2</sup>

تمهيد:

يقع الكتاب الذي بين أيدينا لمؤلفه: ديفيد هارفي، في حوالي: 240 صفحة، يتشكل من مقدمة وقسمان، ضم القسم الأول المعنون بالحق في المدينة؛ أربعة فصول، في حين، القسم الثاني معنون بمدن متمردة، ضم ثلاثة فصول. وتندرج إشكالية الكتاب ضمن الدراسات النقدية للسياسات التطوير العمراني الرأسمالي.

لا يخفي دافيد هارفي إعجابه بأطروحات الماركسيين المحدثين في مجال دراسات المدينة، فحاول من خلال هذا المؤلف؛ أن يطور مفهوم الحق في المدينة لصحابه عالم الاجتماع الفرنسي هنري لوفيفر، انطلاقاً من فرضيتين رئيسيتين: الأولى: الحضرة والتطوير العمراني الذي عرفته المدن الغربية من نهايات القرن التاسع عشر إلى يومنا ما هي إلا أدوات لامتصاص الفوائض المالية الرأسمالية، والثانية: تسهم الحضرة الرأسمالية في زيادة آليات الاستبعاد الاجتماعي والتدمير الهيكلي للمدينة، لذلك تتنامى الحركات الاجتماعية الحضرية المناهضة لهذه السياسات.

من هذا المنطلق، حاول هارفي أن يقنعنا عبر فصول هذا الكتاب؛ أن مفهوم الحق في المدينة الذي طرحه لوفيفر؛ يحتاج إلى تطوير معرفي، "إذا أعيد فكرة الحق في المدينة بشكل ما، كما حدث خلال العقد الماضي، فلن يكون ميراث لوفيفر الفكري، على الرغم من أهمية هذا الإرث، هو ما يتعين علينا العودة إليه بحثاً عن تفسير؛ فما كان يحدث في الشوارع بين الحركات

---

<sup>1</sup> - ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر ترجمة: لبنى صبري، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017، عدد الصفحات: 240.

الاجتماعية أكثر أهمية بكثير"<sup>1</sup>، وكذلك ليس القصد تأسيس مفهوم الحق في المدينة بالاستناد إلى الإلهام الفكري، "بل ينبع أساسا من الشوارع، ومن الأحياء، كصرخة استنجد يطلقها المقموعون في أزمنة اليأس، كيف يمكن إذا للأكاديميين والمفكرين (سواء أكانوا عضوين أم تقليديين وفقا لصياغة جرامشي) الاستجابة لهذه الصرخة وهذا المطلوب؟"<sup>2</sup>.

طرح لفيفر في الستينات من القرن الماضي مفهوم الحق في المدينة، "فالحق في المدينة لا يمكن أن ينظر إليه على أنه، حق بسيط في زيارة أو العودة إلى المدن التقليدية. بل لا يمكن إلا أن تصاغ على النحو الصحيح الحياة الحضرية [...] نظرية متكاملة للمدينة والمجتمع باستخدام موارد العلم والفن. الطبقة العاملة؛ يمكن أن تصبح الداعم الاجتماعي لهذا الإنجاز"<sup>3</sup>، ويرى هارفي في مؤلفه هذا؛ أن لوفيفر تجاوز الأطروحة الماركسية عن دور الطبقة العاملة في التغيير الاجتماعي، "فكان لوفيفر يشير ضمنا إلى أن الطبقة العاملة الثورية تتكون بالأساس من سكان الحضر، وليس فقط من عمال المصانع؛ وأشار في وقت لاحق إلا أنها تكوين طبقي مختلف تماما مشرذم ومقسم ومتعدد الأهداف والاحتياجات، وهو تشكيل متنقل وغير منظم وسائل أكثر منه صلب ومتجذر"<sup>4</sup>.

اندثرت البروليتاريا وحلت محلها البركارياء، وهي مشكلة من عمال بسطاء وغير نظاميين من سكان المدن، بسبب تحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات المعاصرة، وتمثل المشكلة السياسية بالنسبة لهارفي في: "كيف يمكن لمثل هذه المجموعات البائسة أن تنظم نفسها في ثورة؟ وجزء من المهمة هو فهم جذور وطبيعة صرخاتها ومطالبها"<sup>5</sup>، وبناء على هذا، لا يمكننا أن نصل إلى: "سياسات منطقية للمدن إلا عندما نفهم تماما أن أولئك الذين يبنون حياة

<sup>1</sup> - ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، بيروت: الشبكة العربية الأبحاث والنشر، 2017، ص 19.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 20.

<sup>3</sup> - Lefebvre Henri. Le droit à la ville. In: L'Homme et la société, N. 6, 1967. P35.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 21.

<sup>5</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 21.

الحضرة وبيقون عليها لهم حق أساسي فيما أنتجوه، وأن من بين حقوقهم الراسخة حقهم في تشكيل المدينة على هوى قولهم"<sup>1</sup>.

### 1- الحق في المدينة:

يستهل هارفي هذا القسم من الكتاب، بتأكيديه على أننا نعيش في عصر انتقلت فيه حقوق الإنسان إلى الصدارة سياسياً وأخلاقياً، لكن ترتبط غالبية المفاهيم التي يجري ترويجها بالفردانية، فضلاً عن ارتكازها على الملكية، وهي من ثم لا تتحدى أفكار السوق الليبرالية والنيولبرالية المهيمنة أو الأنماط النيولبرالية للشرعية وأداء الدولة"<sup>2</sup>. ويقصد هارفي بالليبرالية الجديدة: "نظرية في الممارسات السياسة والاقتصادية، تقول بأن الطريقة الأمثل لتحسين الوضع الإنساني تكمن في إطلاق الحريات والمهارات التجارية الإبداعية للفرد، ضمن إطار المؤسساتي عام يتصف بحمايته الشديدة لحقوق الملكية الخاصة، وحرية التجارة، وحرية الأسواق الاقتصادية، ويقتصر دور الدولة في هذه النظرة على إيجاد وصون ذلك الإطار المؤسساتي الملائم لتلك الممارسات"<sup>3</sup>.

تأتي في صدارة هذه الحقوق؛ الحق في المدينة، التي يروج لها في عالمنا المعاصر على أنها حق فردي، بينما يرى هارفي أن: "الحق في المدينة أكثر من مجرد حق فرد أو مجموعة في الوصول إلى الموارد الموجودة في المدينة: أنه الحق في تغييرها وإعادة اختراعها تلاءم أهواء قلوبنا بدرجة أكبر: علاوة على ذلك، حق جمعي أكثر منه حق فردي، بما أن إعادة اختراع المدينة تعتمد حتماً على ممارسة القوة الجماعية من خلال عمليات التطوير الحضري العمراني"<sup>4</sup>.

### ما هي أفضل الطرائق للممارسة هذا الحق؟

ما هو السبيل إلى الحق في المدينة؟ "المطالبة بالحق في المدينة وفقاً لما أقصده يعني المطالبة بشكل ما من السلطة التشكيل على عمليات الحضرة، وعلى الطرق التي يتم بها صنع وإعادة

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص24.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص29.

<sup>3</sup>- هارفي، الليبرالية الجديدة، (موجز تاريخي)، ترجمة: مجاب الإمام، السعودية: دار العبيكان، 2008، ص13.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص30.

صنع مدننا، وأن نقوم بذلك بشكل جوهري وجذري"<sup>1</sup>، يرى هارفي أن الرأسمالية تحتاج للحضرة لامتناس فوائض المالية الإنتاج التي تحققها على الدوام، وهذه الطريقة تظهر رابطة داخلية بين التطور الرأسمالي والتطوير العمراني، فتبحث السياسات الرأسمالية دائما عن مجالات مربحة لتوظيف الفوائض المالية، "قد أدرك هوسمان بوضوح أن مهتمة في مساعدة في حل مشكلة فوائض رأس المال والبطالة عن طريق الحضرة. واستوعبت عملية إعادة بناء باريس إعداد ضخمة من العمال، وكميات ضخمة من رأس المال. إلى جانب القمع السلطوي لطموحات القوى العاملة الباريسية هي الأداة الرئيسية للاستقرار الاجتماعي"<sup>2</sup>.

لذلك، ظلت المشاريع العمرانية الأداة الرئيسية لإنقاذ الرأسمالية من تناقضاتها في الستينيات والسبعينات، فتأخذ اليوم عملية الحضرة والتطوير العمراني الطابع الكوني في ظل ظاهرة العولمة، "جلب هذا التوسع الكبير والأحدث في عملية الحضرة تحولات هائلة في أساليب الحياة: أصبحت جودة الحياة الحضرة سلعة تباع للقادرين، وكذلك المدن نفسها، في عالم أصبحت فيه السلع والسياحة والثقافة والصناعات القائمة على المعرفة، فضلا عن النزوع الدائم للاقتصاد الاستعراضي، هي الجوانب الرئيسية للاقتصاد السياسي الحضري حتى في الهند والصين"<sup>3</sup>.

في المقابل، لاحظ هارفي تنامي الحركات الاجتماعية الحضرية، التي تحاول إعادة تشكيل المدينة وفق تصورات ورؤى فكرية جديدة، "إن امتناس الفوائض عن طريق التحول الحضري يمتلك بعدا أكثر قتامة، فقد استلزم نوبات متكررة من إعادة الهيكلة الحضرية عبر التدمير الخلاق، وكان ذلك دائما تقريبا بعد طبقي بما أن الفقراء والمحتاجين والمهمشين من السلطة السياسية هم عادة من يعانون أولا وبدرجة أكبر من هذه العمليات"<sup>4</sup>. لي طرح هارفي السؤال: أين

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 31.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 34.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 43.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 45.

ثورتنا الحضرية في زمننا الحالي؟ والسبيل إلى الحق في المدينة، يكون عن طريق مراقبة القنوات التي تمر عبرها الفوائض المالية التي تستخدم في عملية الحضرة.

## 2- الرأسمالية والتطوير العمراني للمدن:

### الجدور الحضرية للأزمة الرأسمالية.

يرى هارفي في هذا الفصل؛ أنه جرى استبعاد الاقتصاد الحضري من النقاشات الاقتصادية، لاعتقاد الكثير من المحللين أن دوره هامشيا في ظل النظام الاقتصادي الرأسمالي، بينما تكشف الدراسات أنه: "منذ منتصف الثمانينات القرن الماضي خلصت السياسة الحضرية النيوليبرالية، إلى أن إعادة توزيع الثروة على الأحياء والمدن والمناطق الأقل حظا غير مجدية، وأنه يتعين بدلا من ذلك توجيه الموارد إلى أقطاب نمو دينامية في قطاع الأعمال الحرة"<sup>1</sup>، وكذلك فشل المنظور الماركسي في استيعاب العلاقة بين التطوير العمراني والرأسمالية، "فبنية الفكر الماركسي في عمومها تتشابه بشكل مزعج مع بنية التفكير الاقتصادي البرجوازي، فينظر للعمرانيين باعتبارهم متخصصين، بينما يكمن الجوهر الحقيقي المهم للاقتصاد الكلي في النظرية الماركسية في مكان آخر"<sup>2</sup>.

ما يعاب على النظرية الماركسية أنها لم تدمج عمليات الحضرة ضمن حركة رأس المال، فماركس نفسه اهتم بفائض القيمة وقوانين رأس المال على حساب قضايا ومسائل جوهرية أخرى، فانتقد هرفي للائتمان عند ماركس، ويبيّن أن الأزمة الاقتصادية تفهم عبر نظام الائتمان، والاستهلاك وحالة المنافسة، والتراكم الرأسمالي عبر الحضرة.

### إنتاج القيمة والأزمة الحضرية.

ظل العديد من المنظرين في سوسيولوجيا المدينة، يربطون الأزمة الحضرية للمدن بعوامل ذاتية متعلقة بها، كسوء التخطيط الحضري، و الفشل في إدارة المشاريع العمرانية، بينما يرى هارفي أن الأزمة الحضرية لها علاقة ارتباطية بتناقضات النظام الرأسمالي، فأدت هذه الأزمة

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 61.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 70.

إلى: انهيار جودة الحياة في المدن، بسبب حبس الرهن العقاري، والاستمرار في الممارسات الوحشية في أرواق السكن في الحضر، وتقليص الخدمات، وقبل كل شيء غياب فرص عمل يعتد بها في أسواق العمل في الحضر، والأزمة حاليا هي أزمة حضرية كما كانت في أي وقت مضى"<sup>1</sup>، ومشاريع التطوير العمراني لم تكن يوما لصالح سكان المدينة، وإنما لامتصاص الفوائض المالية التي يحققها أرباب المؤسسات الاقتصادية.

يذهب هارفي إلى أن الاستهلاك الذي أهملته الماركسية في التحليل الاقتصادي، يعتبر الأداة المثلى التي وظفتها الرأسمالية في عمليات التطوير العمراني،" في الاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة، تمثل قطاعا كبيرا من التراكم عن طريق الاستيلاء على ممتلكاتهم، ليسحب المال في دورة رأس المال الوهبي لدعم الثروات الضخمة التي تتشكل داخل النظام المالي"<sup>2</sup>، ولا نلاحظ هذه العلاقة الارتباطية بين رأس المال والحضنة، لأن الاستثمارات في الحضنة تحتاج وقتا طويلا لتؤتي ثمارها، "ووقتا أطول لتنضج، لذلك يكون من الصعب عادة تحديد متى يتحول، أو يوشك أن يتحول، تراكم في رأس المال إلى تراكم مفرط في الاستثمارات في قطاع البناء"<sup>3</sup>. يرى هارفي إن إنتاج رأس المال يمر عبر عمليات الحضنة والتطوير العمراني،" لكن حضنة رأس المال تفترض قدرة قوى الطبقة الرأسمالية على ممارسة الهيمنة على عملية التطوير العمراني، ويتضمن ذلك هيمنة الطبقة الرأسمالية ليس فقط على أجهزة الدولة، بل هيمنتها أيضا على السكان، أساليب حياتهم وقوة عملهم، وثقافتهم، وقيمهم السياسية، إضافة إلى مفاهيمهم الذهنية عن العالم"<sup>4</sup>.

#### إنشاء الكمونات الحضرية.

يرى هارفي إمكان تحويل المدينة إلى كومونة جماعية، ففي تصوره المدينة: "هي المكان الذي يختلط فيه الناس من مختلف الأجناس والطبقات مهما كان ذلك على مضمض أو ذا طابع

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص92.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص93.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق ص98.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص109.

صراعي لخلق حياة تشاركية حتى، وان كانت دائمة التغيير ومؤقتة<sup>1</sup>، رغم أن المدينة تتعرض بشكل دوري إلى عملية التسييج لإخضاعها لمصالح الطبقة المهيمنة، وتظهر الصفات الإنسانية للمدينة من ممارساتنا في الفضاءات المتنوعة في المدينة، حتى لو كانت هذه الفضاءات تخضع للتسييج، والسيطرة الاجتماعية، والتخصيص سواء لمصالح خاصة أو عامة/الدولة<sup>2</sup>. وهناك اختلاف جلي بين الفضاء العمومي والفضاء المشاعي، "فعلی مدارتاريخ الحضرة، كان توفير الفضاءات العامة والسلع العامة(مثل الصرف الصحي، والرعاية الصحية، والتعليم وغيرها) سواء عن طريق وسائل عامة أو خاصة، مسألة مصيرية لتنمية الرأس مالية، وذلك لدرجة أن المدن باتت مواقع لصراعات طبقية عنيفة"<sup>3</sup>، ورغم كل الاكراهات الاجتماعية إلا أن المدينة يمكن إن تحولها إلى كومونة، لأن ساكنها هم من يخلقونها، "من خلال أنشطتهم وصراعاتهم اليومية العالم الاجتماعي للمدينة، ومن ثم يخلقون قاسما مشتركا يعيش في داخله الجميع"<sup>4</sup>.

يثير مفهوم الكومونة أو المشاع اللبس لدى العديد من الباحثين، لكن هارفي يؤكد إن المشاع "ليس شيئاً وجد ذات مرة، ثم فقد بعد ذلك، لكنه شيء ينتج باستمرار مثل المشاعات الحضرية. المشكلة أنه يتعرض باستمرار للتسييج والتخصيص من خلال رأس المال في شكله السلعي أو النقدي على الرغم من أنه ينتج باستمرار بقوة العمل الجماعي"<sup>5</sup>. غالبية الفساد المرتبط بسياسات التطوير العمراني الحضري يتعلق بكيفية تخصيص الاستثمارات العامة لإنتاج الكومونة الحضرية، فكم من مرة تدعم الدولة مشروعات تطوير عمراني باسم المصلحة العمومية، في حين، يكون المستفيدون هم من الطبقة البرجوازية.

تميل الحضرة الرأس مالية إلى تدمير المدينة ككومونة اجتماعية وسياسية قابلة للعيش المشتركة، "الحضرة هي إنتاج مستمر لكومونات حرة والاستيلاء الدائم عليها وتدميرها عن

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص111.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص118.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق ص119.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص120.

<sup>5</sup>- هارفي، مرجع سابق ص125.

طریق المصالح الخاصة"<sup>1</sup>، لا يمكن احتواء هذا الضرر أو الحد منه إلا عن طریق تبني المبادئ الاشتراكية في عملية إنتاج وتوزيع الفائض، وإنشاء كمونة جديدة للثورة مفتوحة للجميع"<sup>2</sup>. يتمثل الحل من منظور لهارفي في تنظيم السكان لأنفسهم في كومونات، "ويصبح الاعتراف السياسي، بأن الكومونات يمكن أن تنتج، وتتم حمايتها واستخدامها لأغراض المنفعة الاجتماعية - إطار عاما لمقاومة السلطة الرأسمالية، وإعادة النظر في سياسات التحول المناهض للرأسمالية"<sup>3</sup>، ويتطلب ذلك هجوما سياسيا مزدوجا على محورين، "تجبر من خلاله الدولة على تقديم المزيد والمزيد من الخدمات العامة لأغراض العامة، إلى جانب التنظيم الذاتي للسكان جميعهم ليسيطروا ويستخدموا ويستكملوا تلك الخدمات العامة بشكل ينشر ويعزز خصائص الكومونات غير المسلعة لأعاد الإنتاج والحفاظ على البيئة"<sup>4</sup>.

تعتبر الثقافة أحد الأشكال التعبيرية الكومونية، فتحوّلت الثقافة مع الحضرة الرأسمالية إلى سلعة من نوع ما، هذا أمر لا يمكن إنكاره، لكن هناك اعتقاد على نطاق واسع بان شيئا خاصا جدا موجود في منتجات وأحداث ثقافية معنية(سواء كان في مجال الفنون، أو المسرح أو الموسيقى أو السينما، أو العمارة، أو على نطاق أوسع في أساليب الحياة المحلية، والموروثات والذاكرة الجميعة والمجتمعات المؤثرة، ليميزها عن غيرها من السلع مثل القمصان والأحذية"<sup>5</sup>، وأصبحت تسهم القيم الثقافية في عمليات الاحتكار الاقتصادي.

### رأس المال الرمزي الجمعي.

تسهم الحياة الاجتماعية للسكان في توليد رأس مال رمزي جماعي، "أسهم فيه الجميع، كل بأسلوبه المتميز، سواء في الوقت الحالي أو في الماضي. لماذا يترك العائد الاحتكاري المرتبط برأس المال الرمزي لتحصل عليه، فقط الشركات المتعددة الجنسيات أو قطاع صغير من البرجوازية المحلية"<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 128.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 136.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 136.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 137.

<sup>5</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 140.

<sup>6</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 159.

وكذلك توظف الرساميل الرمزية في الهيمنة السياسية، "فالمنظومات الرمزية، بما هي أدوات تواصل ومعرفة تشكل بنيات تخضع العالم للبنىات، تؤدي وظيفتها السياسية من حيث هي أدوات لفرض السيادة وإعطائها صفة المشروعية التي تساهم في ضمان هيمنة طبقة على أخرى"<sup>1</sup>. لذلك، يجب على القوى اليسارية والفاعلين الديمقراطيين في المدينة أن يواجهوا عملية التسليح الثقافي للرساميل الرمزية، "وهنا، يكمن أحد الفضاءات الرئيسية للأمل في بناء نوع بديل وسياسي حيوية مناهضة للتسليح: سياسة يكمن للقوى التقدمية للإنتاج والتغيير الثقافي أن تستخدمها لتمارس هي فعل مصادرة وتقويض القوى الرأسمالية بدلا من أن يحدث العكس"<sup>2</sup>، ويتقاطع هارفي مع رواد مدرسة فرانكفورت في نقدهم للتسليح الثقافي في ظل الرأسمالية، أين أصبحت صناعة الثقافة، "تفرض محتوياتها على البشر. أما الثقافة الشعبية، بمعنى عريض، فتعبر عن تجربة شعبي الحياة المعيشة، عن حبه، وكراهيته، وحزنه، وتمرده، ومقاومته، ولكن تتوسط صناعة الثقافة ذلك كله حتى يغدو شيئا آخر مختلفا: سلعة"<sup>3</sup>.

### 3- مدن متمرده:

في القسم الثاني من هذا الكتاب، يرى هارفي أن هناك تنامي الحركات الاجتماعية الحضرية في مختلف مدن العالم، قائلا: "نشير إلى الحركات المتشردمة المعارضة للعولمة النيولبرالية، كما ظهرت في سياتل وريباغ ومليورن، وبانكوك، ونيس، ثم بشكل بناء أكبر في المنتدى الاجتماعي العالمي في عام 2001، إلى مثل هذه السياسة البديلة، والسعي من أجل نوع معين من الاستقلالية الثقافية ودعم للإبداع والتنوع الثقافي يعد من عناصر التكوين القوية لهذه الحركات السياسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بياربوديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دارتوبقال للنشر، 2007، ص 50.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 166.

<sup>3</sup> - ألان هاو، النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: نائل الذيب، مصر: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 107.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 165.

كما كان للحضنة أهمية في تراكم رأس المال، فان هذه الحضنة تنتهي في كل مرة إلى ثورة حضرية، " إذا كانت قوى رأس المال وحلفاؤها العديدين يجب أن يجب أن يحشدوا بلا هوادة للقيام بتثوير دوري للحياة الحضرية، فان الصراعات الطبقيية من نوع ما ستوجد حتما"<sup>1</sup>، فيوقفنا الدرس التاريخي على العديد من هذه الثورات: من كمونة باريس 1878 إلى ثورة أيار 1968، ويظهر التاريخ أن المشاركة في الحركات الاحتجاجية الحضرية لم يقتصر على مدينة منفردة: امتدت روح الاحتجاج مثلا من تونس إلى العديد من المدن العربية.

تعتمد القوى الاجتماعية المهيمنة على التطوير العمراني إلى خلق فضاء عمراني بمواصفات هندسية معينة، حتى يسهل التحكم في الحركات الاحتجاجية التي تندلق بين الفنية والأخرى في المدن، "وتسعى القوى السياسية عادة لإعادة تنظيم البنية الأساسية في الحضر وحياة الحضر آخذة في الاعتبار قدرة على السلطة على الجماهير المتمرده"<sup>2</sup>، وتدرك تلك القوى الانتهازي: فعالية الاحتجاج السياسي في تعطيل الاقتصاد الحضري.

السؤال الواجب طرحه من منظور هارفي: ما طبيعة النضالات التي يجب خوضها ضد الرأسمالية؟ فاليسار فشل في فهم الحركات الاجتماعية الحضرية، "فعادة ما ينظر إلى الحركات الاجتماعية الحضرية، باعتبارها، بحكم التعريف، منفصلة عن، او ملحقه بالصراعات الطبقيية او المناهضة للرأسمالية، التي ترجع جذورها إلى استغلال واغتراب العمل الحي في العملية الإنتاجية."<sup>3</sup>

وقعت الحركات اليسارية في خطأ فادح عندما أسقطت من حساباتها الحركات الاجتماعية الحضرية، " فإذا كانت الحركة يعتد بها لمناهضة الرأسمالية أن تظهر، فانه يجب إعادة تقييم الاستراتيجيات السابقة والراهنة لمناهضة الرأسمالية؛ فليس المهم فقط هو أن تأخذ للوراء للتفكير فيما يجب وما يتعين عمله، ومن الذي سيقوم بذلك، وكيف يقوم بذلك"<sup>4</sup>، فظل

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 171.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 175.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 184.

اليسار الجديد" مهموما بالنضال لتحرير نفسه من الأصفاد المزدوجة اليسارية القديمة، والسلطات القمعية لرأس المال الشركات الكبرى والمؤسسات المتبقرطة(الدولة، الجامعات، النقابات..) ورأى نفسه من اللحظة الأولى قوة ثقافية مثلما هو قوة سياسية اقتصادية"<sup>1</sup>. تساهم الحركات الاجتماعية الحضرية في النضال ضد الرأسمالية، من خلال التركيز على ثلاثة قضايا محورية: الإفقار المادي المدقع الذي يعاني منه أغلب سكان العالم، المخاطر الواضحة أو الوشيكة للتدهور البيئي والتغيرات المناخية الخارجة عن نطاق السيطرة، إلغاء سلطة قانون القيمة الرأسمالية من أجل تنظيم السوق العالمية<sup>2</sup>، ونقل الحراك الاحتجاجي من فضاء المصنع إلى فضاء المدينة، "فالحضرنة في حد ذاتها منتجة يشارك الآلاف من العمال في إنتاجها، وعملهم منتج للقيمة ولفائض القيمة. لماذا لا نركز، من ثم على المدينة بدلا من المصنع باعتبارها الموقع الرئيسي لإنتاج فائض القيمة؟"<sup>3</sup> ونوسع من مفهوم البروليتاريا باعتبارها الأداة المركزية في كل حركة ثورية، "ليشمل منتجي الحضر غير المنظمين (من نوع الذين تم حشدهم في مسيرات الدفاع عن حقوق المهاجرين) واستكشاف قدراتهم وطاقاتهم الثورية المميزة"<sup>4</sup>، وهكذا، ننقل النضال من ساحات المصانع إلى الساحات العمومية للمدن.

### الحق في المدينة كمطلب سياسي على أساس طبقي.

إذا كان المشاركون في كومونة باريس قد سعوا لاستعادة المدينة، التي أسهموا في بنائها وإنتاجها، فلماذا لا يصبح الحق في المدينة شعارا رئيسيا للتعبئة النضال ضد الرأسمالية، "الحق في المدينة ليس حقا فرديا حصريا، بل هو حق جماعي مركز، وهو حق شامل وجماعي، ليس فقط لعمال البناء، بل لكل أولئك الذي يسهمون في إعادة إنتاج الحياة اليومية: مقدمي الرعاية، والمدرسين[...والعاملين في إدارة المدينة"<sup>5</sup>، لذلك، يعتقد هارفي أن الحق في المدينة:

<sup>1</sup> -هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص303.

<sup>2</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص187.

<sup>3</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص187.

<sup>4</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص188.

<sup>5</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص197.

د. عبد الحلیم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

ليس حقا مفهوما تجريديا، قائلا: "يجب ألا يفسر الحق في المدينة باعتباره حقا فيما هو قائم بالفعل، بل كحق في إعادة بناء وإعادة خلق المدينة ككيان سياسي اشتراكي بصورة مختلفة تماما - صورة تقضي على الفقر وعدم المساواة الاجتماعية، صورة تشفي جراح التدهور البيئي الكارثي"<sup>1</sup>.

#### 4- الحركات الاجتماعية الحضرية:

في هذا الفصل، يرى الكاتب أن تصويب المفاهيم يفضي إلى ثورة حضرية، فيجب أن تستند الإضرابات العمالية على القوة الشعبية في مراكز المدن، وأن نوسع من مفهوم العمل، "الذي ظل مرتبطا بالأشكال الصناعية، إلى نطاق أوسع بكثير للعمل متعلق بإنتاج وإعادة إنتاج حياة يومية أكثر حضرية"<sup>2</sup>، وكذلك إعادة صياغة مفهومنا للطبقة الاجتماعية، وعلينا أن نوسع من مفهوم البرولتاريا ليضم كل سكان المدينة المستبعدين من الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

فاعتبر هارفي أن مدينة -إل التو- ببوليفيا نموذجا للمدن التي ناضل سكانها ضد للرأسمالية، "فقد أوجد تنظيم العمالة غير الرسمية في اتحادات العمال التقليدية، وتشكيل اتحاد جمعيات الأحياء، وتسييس علاقات الريف والحضر، وخلق الهراريات المتشابكة والهياكل القيادية إلى جانب المجالس التي تعمل للتفكير في تحقيق المساواة، وتعبئة قوى الثقافة والذاكرة الجماعية، أوجد نماذج للتفكير في ما الذي يمكن عمله بشكل واع لاستعادة المدن من أجل النضال المناهض للرأسمالية"<sup>3</sup>.

في الختام، تعد الحركات الاحتجاجية التي عرفتها مدينة لندن سنة 2011، وحركة احتلوا وول ستريت في الولايات المتحدة الأمريكية من الشواهد الواقعية على تنامي الوعي بالنضال ضد السياسات الرأسمالية المتوحشة، "فالقوة الجماعية للأجساد المحتشدة في الفضاء العام مازلت هي الأداة الأكثر فعالية للمعارضة عندما تعطل كل الوسائل الأخرى. ما أظهره ميدان التحرير

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 198.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 199.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 214.

للعالم كان حقيقة واضحة: أن الأجساد المتواجدة فعليا في الشوارع وفي الميادين، وليس الثثرة للتعبير عن المشاعر على مواقع توتير فيسبوك، هي التي تهم"<sup>1</sup>.

**\* قائمة المصادر:**

1- ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، بيروت: الشبكة العربية الأبحاث والنشر، 2017.

**\* قائمة المراجع:**

<sup>1</sup> - ألان هاو، النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: نائل الذيب، مصر: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 107.

<sup>2</sup> - بيار بوديو، الرموز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دار توبقال للنشر، 2007، ص 50.

<sup>3</sup> - هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 303.

4- هارفي، الليبرالية الجديدة، (موجز تاريخي)، ترجمة: مجاب الإمام، السعودية: دار العبيكان، 2008، ص 13.

5- Lefebvre Henri. Le droit à la ville. In: L'Homme et la société, N. 6, 1967. P35.

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 226.